الاستعارة الأنطولوجية في نازك الملائكة
(في ضوء نظرية الاستعارات المضمونية لجورج لا يكوف ومارك جونسون)

م.د علي محمود حبيب الشمري
جامعة واسط – كلية التربية الأساسية – قسم اللغة العربية
(Ali.Mahmod@uowasit.edu.iq)

Ontological Metaphor in the Poetry of Nazik al-Malaika
(In Light of George Lakoff and Mark Johnson's Theory of Conceptual Metaphors)

Asst. Prof. Ali Mahmoud Habib al-Shammari
University of Wasit – College of Basic Education – Department of Arabic Language

المستخلص

تمثل الاستعارة جزءاً من الموروث اللغوي الذي توارثته البشرية بوصفها وسيلةً للتعبير عن الأمور والمواقف والانفعالات عبر إضفاء شيء إلى شيء آخر يعطي من خلاله معنى ومفهوماً بسيطاً للحادثة أو الواقعة. إن أدباء البلاغة وعلماء اللسانيات الحديثة يقدمون حول الاستعارة نظريات مختلفة ومنها نظرية الاستعارات المضمونية لجورج لايكوف ومارك جونسون؛ إذ تسعى هذه الدراسة من منظار المنهج الوصفي – التحليلي وأساساً علم اللسانيات المعرفية إلى إيضاح المفاهيم الاستعارية للاستعارات الانطولوجية التي جاء بها كل من لايكوف وجونسون في نظريتهما وإيجاد تطبيقات فعلية لذلك على شعر نازك الملائكة.

تعد هذه الدراسة نوعية من حيث المضمون؛ إذ جاءت في ثنايا البحث محاولة لتبسيط نظرية الاستعارة المضمونية لجورج لايكوف ومارك جونسون من خلال تطبيق أسسها على شعر نازك الملائكة مع الأخذ بعين الاعتبار الاختلاف الاجتماعي والبيئي الموازي للشاعرة، إلا أن الدراسة لم تكتف بهذا القدر من البحث وتجاوزته للبحث نفسيا في أعماق شعر نازك الملائكة لتقريب الصورة بشكل أوضح، ونتائج البحث تشير إلى أنَّ نازك نازك الملائكة ركزت في استعاراتها على إظهار ملامح الحزن في شعرها، إن جنوح الشاعرة إلى التجديد الشعري أسهم بصورة كبيرة في إضفاء جانب من الحداثة في شعرها واستعاراتها على حد سواء مما خدم بشكل أو بآخر ترسيخ نظرية الاستعارة المضمونية.

المفردات الرئيسة: اللسانيات المعرفية، الاستعارات الأنطولوجية، جورج لا يكوف، مارك جونسون، نازك الملائكة.

Abstract

Metaphor is part of the linguistic heritage that humanity has inherited as a means of expressing things, situations, and emotions by attributing one thing to another, thereby conveying a simple meaning and concept to the event or occurrence. Rhetoricians and modern linguists offer various theories about metaphor, including the thematic metaphor theory of George Lakoff and Mark Johnson. This study, from a descriptive-analytical perspective and primarily based on cognitive linguistics, seeks to clarify the metaphorical concepts of ontological metaphors introduced by Lakoff and Johnson in their theory and to find practical applications of these concepts to the poetry of Nazik al-Mala'ika.

This study is unique in its content; The research attempts to simplify George Lakoff and Mark Johnson's theory of thematic metaphor by applying its principles to the poetry of Nazik al-Mala'ika, taking into account the poet's distinct social and environmental context. However, the study goes beyond this, delving into the psychological depths of al-Mala'ika's poetry to provide a clearer picture. The research findings indicate that al-Mala'ika focused her metaphors on conveying themes of sadness. Her inclination towards poetic innovation significantly contributed to a modernity in both her poetry and her metaphors, which, in turn, served to solidify the theory of thematic metaphor.

Keywords: Cognitive Linguistics, Ontological Metaphors, George Lakoff, Mark Johnson, Nazik al-Mala'ika

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث:

لقد كان الكثير من الباحثين في السبعينيات (١٩٧٠) من مؤيدي وداعمي علاقة اللغة بالعقل، وفي هذا الصدد ظهرت اللسانيات المعرفية في ضوء بحوثهم، وكان والاس تشيز، وتشارلز فيل مور وجورج لايكوف [4]ورولاند لا نغارك من أكثر اللغويين تأثيراً في هذا الخط الفكري، إذ أكدوا فيه مبادئ الإدراك والتنظيم. وإحدى النظريات التي ولدت من رحم اللسانيات المعرفية في الدراسات الأدبية هي نظرية الاستعارات المضمونية لجورج لايكوف ومارك جونسون، وشرح لايكوف وجونسون لأول مرة إطار نظريتهما الجديدة للدور المعرفي والمضموني للاستعارة في كتابهما المشترك الأول المعنون ب "الاستعارات التي نحيا بها" الذي سمي(النظرية المضمونية للاستعارة) أو (الاستعارة المضمونية).[١]

يكتب جورج لايكوف ومارك جونسون نظريتهما بشأن الاستعارة عبر بيان خاص لكل أفكارهما وتوضيح لبيان وأنواع الاستعارة، ومن ضمن هذه الاستعارات نجد الاستعارة المضمونية (المفهومية) التي تبرز بشكل واضح في كتابهما، فالاستعارة المفهومية نوع من أنواع الاستعارة تندرج فيه أنواع أخرى(الاستعارة الانطولوجية، والاستعارة البنيوية، والاستعارة الاتجاهية)إذ تمثل هذه الاستعارة وأنواعها وسيلة من وسائل التضمين والفهم التي تسعى إلى توجيه الإدراكيات عبر الاستفادة من الكلمة فمثلا عبارة (إن احلامي ترتفع عاليا)ما هي إلا استعارة تدل من خلال المضمون على أن الاحلام الخاصة بالفرد بدأت تكبر ويسعى من خلال طموحه إلى التقدم فأخذت باتجاه الارتفاع بصورة تتجلى بتوجهها نحو الفضاء الأعلى، فهي من ثَمَّ وسيلة من وسائل التعبير والدلالة عن الموقف والشيء.

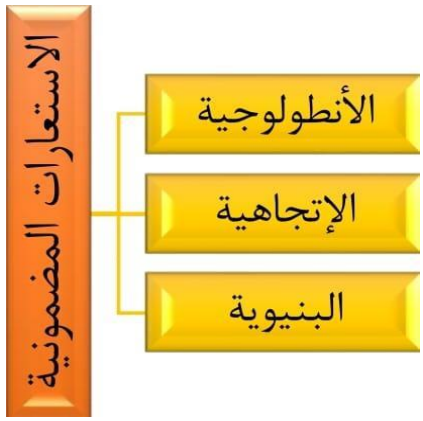

يهدف هذا البحث إلى دراسة الاستعارات الانطولوجية لدى نازك الملائكة عبر نظرية الاستعارات المضمونية لجورج لايكوف ومارك جونسون، وكشف ملامح الحزن والاكتئاب في شعرها.

وتسعى هذه الدراسة من منظار المنهج الوصفي–التحليلي وأساساً علم اللسانيات المعرفية إلى إيضاح المفاهيم الاستعارية للاستعارات الانطولوجية التي جاء بها كل من لايكوف وجونسون في نظريتهما وإيجاد تطبيقات فعلية لذلك على شعر نازك الملائكة وإجابة على هذه الأسئلة: كيف تنعكس الاستعارات الأنطولوجية في شعر نازك الملائكة؟ وما هي المفاهيم المجردة في دائرة المبدأ والمقصد؟

خلفية البحث:

١- التعبير المجازي في شعر نازك الملائكة للمؤلفين عكورة ياسمين وبوشعر حسينة، وهي مذكرة للحصول على شهادة الماجستير من جامعة عبدالرحمن ميرة كلية الآداب واللغات كتبت في العام ٢٠١٩م، إذ تهدف هذه الدراسة إلى التعابير المجازية التي استخدمتها نازك الملائكة في شعرها بدراسة تحليلية معمقة.

٢- التخييل في شعر نازك الملائكة،وهو كتاب نقدي للدكتورة شيماء محمد كاظم، نشر دار الرضوان للنشر والتوزيع، طبع لأول مرة في عمان لعام ٢٠٢٠م ، تناول مفهوم التخييل والخيال عند نازك الملائكة عبر دراسة لجميع شعرها ووفق منهج تحليلي قائم على الاستقراء الملاحظة.

٣- مستويات الأداء اللغوي في شعر نازك الملائكة (دراسة وتحليل)،مريم رحمتي تركاشود، أشرف مانع فرهود، پژوهش در زبان وأدبيات عربي الربيع والصيف ١٣٩٨ شماره ٢٠.

هذا المقال بعد الغور في دواوين نازك الشعرية، يعالج الموضوع بالمنهج الوصفي التحليلي ومن خلال انقسام مستويات الأداء اللغوي عند الشاعرة إلى خمسة أقسام، وهي الأداء بلغة الموروث واللغة المحكية ولغة الحزن ولغة الحب واللغة الرومانسية.

٤- الأسطورة في الشعر النسوي الحديث العربي والغربي،(إديث سيتويل ١٩٤٦، نازك الملائكة ٢٠٠٧)انموذجا. آلاء مهدي مزهر البريج،سيد حسين سيدي،ضرغام قبانجي،

يسعى هذا البحث وعبر المنهج التحليلي المقارن إلى أن يدرس تجليات الأسطورة في الشعر النسوي ،وسلط الباحثون الضوء على الادب النسوي وتأثير الادب الغربي في الثقافة العربية من خلال عقد مقارنة بين انموذجين من شاعرات الادب الحديث،متمثلا ب(إديث سيتويل ١٨٨٧- ١٩٦٤\ونازك الملائكة ١٩٢٣- ٢٠٠٧)،تدل النتائج على تأثير الادب الغربي في التطور الشعري عند نازك بدليل ان الرموز الإغريقية هي المسيطرة على النص الشعري عندها، كما أن هناك بعض الأساطير الدينية تبنتها نازك في خطابها وفقا للروايات المسيحية، أما إديث فكانت تخلق رموزا وصورا غير مألوة من إبداعات عالمها الخاص.

القسم النظري للبحث

مفهوم الاستعارة لدى علماء البلاغة:

على الرغم أن الاستعارة من فنون البلاغة المعروفة إلا أن الكثير من الدارسين التابعين للنظرية الكلاسيكية حاولوا أن يدرجوها في مجال البحث اللساني.[٢] ورغم ذلك بقت الاستعارة فناً لغوياً يندرج في أكثر من مجال ليعطي للمتمسك به جمالية تضاف على علمه، فالاستعارة صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى.[٣]

إن عملية الاستعارة تمثل جزءا من عملية التصور المعرفي ذلك أنها تجعل من البدائع البلاغية جزءاً من واقع اللغة، فالاستعارة في جملة مثل:"اشتعل الرأس شيباً إنَّما تكون باستبدال الفعل امتلأ بالفعل اشتعل" استبدالاً يعتمد المشابهة، والكناية في جملة مثل : إذا هطلت السماء عيناه تكون باستبدال "المطر" بالسماء استبدالاً يعتمد المجاورة، والمجاوزة، والمجاز المرسل في جملة مثل: "إني أراني أعصر خمراً إنَّما تقوم باستبدال العنب" بـ(الخمر)استبدالاً يعتمد علاقة البعضية لأن الخمر بعض العنب، كما أن التورية في جملة مثل ما أمرَّ الصبر، تحاول أن تجمع مدلولين في دال واحد، هما التجلد والنبات المر. فكل هذه الوسائل تعمل على إيقاظ أكثر من مدلول في الدال الواحد، وهو أمر لا تتمكن منه الوسائل البديعية.[٤]

إن الاستعارة على الرغم وضوح معناها إلا أنها تتشابه في بعض الأحيان مع أسلوب بلاغي يعرف بالتشبيه والذي يمكن تعريفه بأنه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما واشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال، وهذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية أو مشابهة في الحكم والمقتضى الذهني الذي

يربط بين الطرفين المقارنين في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة.[٥] إذ قد يتم الخلط عادة بين الاستعارة والتشبيه أن عناصر التشبيه مع عناصر الاستعارة.

مفهوم الاستعارة لدى جورج لا يكوف ومارك جونسون:

يعد جورج لا يكوف ومارك جونسون من أنصار ما يعرف بتيار الدلالة المعرفية؛ الذي أتاح بلورة نموذج عام وأن يطرح مقاربة لكيفية الحصول على المعاني وما يحفزها، إذ يستند هذا التيار على مركزية البعد المعرفي عند البشر في قيام المعاني اللغوية(وتأويلها) وكذلك المعاني غير اللغوية على حد سواء؛ أي إسناد معنى إلى شيء ما، أي إدراكه بحيث يصبح الإدراك مرادفاً لإسناد المعنى وقيامه.[٦]

يعتقد جورج لا يكوف (١٩٤١) ومارك جونسون (١٩٤٩) في تبيين نظريتهما يعني الاستعارة المضمونية بأن الاستعارة تخلق نوعاً من التشابه الضمني بين عالمين،يستخدم لايكوف وجونسون مصطلح "الرسم(الربط/العلاقة)" للإشارة إلى العلاقة بين المجالين.في الواقع "الترسيم" تُعَدُّ كمطابقة خصائص مجالين معرفيين يقتربان معاً في إطار استعاري. والاستعارة المضمونية هي في الواقع عملية فهم وتجربة المجال (أ)التي تحدث بمساعدة الظواهر والمصطلحات المتعلقة بالمجال (ب).لذا فإن كل استعارة لها ثلاث بنيات:

١- المجال (أ) الذي يسمى الغرض أو المقصد وهي أمور عقلية عامة ومفاهيم مجردة.

٢- المجال (ب) الذي يسمى بالمبدأ أو المصدر ويحتوي عادةً على أمور أكثر موضوعية.

٣- الرسم (الربط): العلاقة بين المجالين اللذين تحدث أساساً على التطابقات بينهما، وكما موضح ذلك.[٧]

المقصد	الرسم	المبدأ

النظرية الحديثة للاستعارة، على عكس النظرة التقليدية، لا تعدُّ الاستعارة أداةً للجمال بل مظهراً ثقافياً يتأثر باللغة كما تتأثر بها سائر المظاهر الأخرى مثل السلوكيات والأنشطة التي نباشرها في الواقع وتعامل مع الاستعارة في حياتنا اليومية تماماً. تنقسم الاستعارات المضمونية إلى ثلاثة أجزاء: الاستعارات الانطولوجية، والاستعارات البنيوية والاستعارات الاتجاهية.

الاستعارات الأنطولوجية: في هذا النوع من الاستعارة، تُفهم المفاهيم المجردة من خلال الأشياء والمواد والإنسان. وتجاربنا مع الأشياء الفيزيائية مصدر لأسس استعارات أنطولوجية متنوعة جداً، أي طرائق للنظر إلى الأحداث والأنشطة والاحساسات والأفكار...إلخ باعتبارها كيانات ومواد.[٨]

المثال: الزمن مال:

–إنك تجعلني أضيع وقتي

الاستعارات البنيوية:(فيُطلق على هذا النوع من الاستعارة المضمونية اسم بنيوي من حيث إنه ينقل أساساً بنية كل مفهوم عيني وموضوعي إلى مفهوم مجرد)

المثال: الجدال حرب:

–لا يمكن أن تدافع عن ادعاءاتك

الاستعارات الاتجاهية: ترتكز الاستعارات الاتجاهية على التصورات الفيزيائية البسيطة (مثل فوق –تحت، داخل–خارج والمركز– الهامش "الحاشية"و...إلخ).[٩]

كما يشير لايكوف إلى الأمثلة حول الجهات الفضائية فوق وتحت:

المثال: السعادة فوق

–إنني في قمة السعادة

تكمن فكرة لايكوف وجونسون عن الاستعارة بأنها جزء من المعنى الحقيقي الذي نجربه كل يوم دون أن ندركه، فعبارة مثل(الجدال حرب) هي استعارة واضحة تكمن في إرشادنا إلى تجنب الجدال الذي لن ينتهي فهو حرب يسعى فيها الطرفين إلى الانتصار على الآخر دون أن يضع طرفي الجدال اعتباراً إلى الأمر مجرد حديث يتبادل فيه وجهات النظر، فالاستعارة تدخل ضمن مجال الاستيعاب الذي يمثل عملية تناول اللغة وجعلها تتحمل عبء خبرة المرء و الثقافة الخاصة به، فالاستعارة تكمن في أن تنقل عبر لغة ليست لغتك ، وروح ليست روحك.

فالاستعارة وفق مفهوم لايكوف وجونسون تكمن في أنها تنقل تجربة ما من الواقع الحسي إلى التصور العقلي؛ إذ يكمن جوهر الاستعارة في كونها تتيح لهم شيئاً ما وتجربته (أو معاناته) انطلاقاً من شيء آخر.[١٠]

ترجمة نازك الملائكة:

ولدت نازك الملائكة في الثالث والعشرين من شهر أغسطس لعام ١٩٢٣ للميلاد في منطقة العاقولية من بغداد القديمة.[١١]وقد أسماها جدها نازكاً تيمناً بالثائرة السورية نازك العابد التي ثارت ضد الاستعمار الفرنسي في سوريا آنذاك.[١٢]وهي البنت الكبرى في عائلتها، والتي كانت عائلة أرستقراطية؛ إذ عرفت باسم (الملائكة)لما تتمتع به من هدوء ودعة فعاشت بين الأشجار والبساتين والنخيل وعلى مقربة من نهر دجلة، فهي من عائلة مثقفة اتسمت بغزارة الأدب والمعرفة، فأمها (سلمى عبد الرزاق) كانت شاعرة تكتب في الصحف المحلية العراقية وتنشر شعرها فيها.[١٣] أما والدها فهو صادق

الملائكة الرجل الموسوعي صاحب الكثير من المؤلفات في دراسة النحو، وله موسوعة في عشرين مجلداً تحت عنوان (دائرة معارف الناس)كما أنه كان شاعراً أيضاً.[١٤]

أكملت نازك الملائكة دراستها الابتدائية ثم المتوسطة وتخرجت من الثانوية في عام ١٩٣٩، وكانت منذ صغرها مولعة باللغة العربية والإنجليزية والعلوم الإنسانية، ودخلت دار المعلمين العالية فرع اللغة العربية وحصلت على الليسانس في الآداب عام ١٩٤٤ بدرجة امتياز، كتبت الشعر ونظمته منذ نعومة أظفارها؛ فمنذ كانت تبلغ العاشرة من عمرها نظمت أولى قصائدها، وبالتأكيد فإن البيئة العائلية التي كانت تحيطها هي أول من غرست بها حب الأدب وأنمت فيها موهبة الشعر.[١٥]

لم تكن نازك الملائكة شاعرة فحسب، بل كانت من رائدات التغيير في مجال الشعر العربي، فتعد قصيدتها(الكوليرا)من أوائل القصائد التي مهدت لمشروع الشعر الحر مفهومه في العالم العربي، كما أنها كانت ناقدة ولها الكثير من المؤلفات التي ساعدت في إرساء قواعد الشعر الحر ونظمه في عالم الشعر العربي، لذا فكانت مساهمة ومنظرة لوجود الشعر الحر ودافعت عنه بقوة، كما أنها كانت مترجمة أيضاً، إذ ترجمت مجموعة من القصائد من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية.

توفيت نازك الملائكة في الثلاثين من حزيران لعام ٢٠٠٧ ودفنت في القاهرة، عن عمر يناهز الثمانين عاماً وبهذا انتهت حياة شاعرة هادفة إلى التحرر في طريقة كتابة الشعر، وناقدة لها وزنها في قضايا ومنازعات الأدب العربي.

دراسة الاستعارة الأنطولوجية لدى نازك الملائكة:

إن مصطلح الأنطولوجية من الناحية التقليدية يعرف بالنظام أو السلوك الذي يهتم بدراسة الكائن، إذن فهي مرادفة للميتافيزيقا، ومن الناحية الهرمينوطيقية فإن

الكلمة تعني النظام الذي يهتم بدراسة العالم الذي يطرحه نص ما، وهذا العالم في الواقع لا يمتزج مع عالم الأشياء الاعتيادية، ولكنه يتضمن كوناً، من أجل أن يكون خيالياً، لا يمتلك أي واقعية عميقة في الأقل.[١٦]وفي هذا النوع من الاستعارات يتم فهم المفاهيم المجردة من خلال الطبيعة والأشياء والإنسان، وتعد تجاربنا مع الأمور الفيزيائية مصدراً للاستعارات الأنطولوجية، بمعنى أن طرائق النظر إلى الأحداث والأشياء والاحساسات والأفكار وغيرها ينظر إليها باعتبارها كيانات ومواداً.[١٧]وقد ذهب لايكوف وجونسون إلى أن أساس استخدام الاستعارة الأنطولوجية مقرون بفهم الأحداث والأعمال والأنشطة والحالات؛ إذ إن تصور الأعمال والأحداث استعارياً ما هو إلا باعتبارها أشياء، والأنشطة مواد، والحالات أوعية.[١٨]فنجد أن لايكوف وجونسون يقسمون الاستعارات الأنطولوجية إلى استعارة كيان ومادة ، واستعارة الوعاء،واستعارة التشخيص، والبحث عن الاستعارات الأنطولوجية في شعر نازك الملائكة نحتاج إلى الوقوف عند جملة نقاط وهي:

١- الاستعارة الأنطولوجية (الكيان والمادة):

إن الكيان بوصفه شيئاً ثابتاً والمادة بوصفها شيئاً متحركا يفيدنا بالاستعارة؛ ذلك أن الاستعارة لا تعني تحريك الساكن أو تسكين المتحرك فحسب، فالاستعارة يكمن جوهرها في كونها تتيح فهم شيء ما وتجربته انطلاقاً من شيء آخر.[١٩] وتستعمل الاستعارات الأنطولوجية لحاجات مختلفة وتتعدد استعمالاتها نظرا للحاجة إليها، فالكيان هو ما يتم الإحالة عليه فمثلاً تجربة ارتفاع الأسعار التي تسمى استعارياً باصطلاح (التضخم)يحيلنا إلى القول بأن:

١- التضخم يقلل من مستوى المعيشة.

٢- تفاقم التضخم يؤدي إلى صعوبة العيش.

٣- يؤدي التضخم إلى زيادة في نسب البطالة.

وهكذا فإن بسبب الاستعارة هذه سيحال الأمر عليها أو بسببها مما يجعل هذه الاستعارة ضرورية لمحاولة تقديم تحليل وتفسير عقلاني لتجربتنا وكذلك الأمر بالنسبة للمادة عند الخضوع لمفهوم الاستعارة.[٢٠] ونجد تطبيق مفهوم الاستعارات الأنطولوجية وتحديداً نوع الكيان والمادة متواجداً في شعر نازك الملائكة إذ تقول:

في ضوءِ مصباحِ القطارِ الباهتِ
سَئمتْ مراقبةَ الظلامِ الصامتِ
أتصوّرُ الضجَرَ المريرْ
في أنفس ملّت وأتعبها الصفيرْ
هي والحقائبُ في انتظارْ
هي والحقائبُ تحت أكداسِ الغبارْ
تغفو دقائقَ ثم يوقظها القطارْ.[٢١]

فيظهر من خلال النص أعلاه الحزن الواضح بسبب الألم واتخاذ الشاعرة رمز حركة القطار والركاب، وجعلت من الحزن شحنات نفسية لمواجهة الواقع وتبريرات خيالية في مواجهة تجربة الألم بألفاظ الأسى، فنجد أن (ضوء المصباح الباهت) الذي هو مادي بطبعه سيحيلنا إلى مراقبة الظلام،وكذلك سيحيلنا من بعدها إلى الذهاب إلى تخيلات نفسية قابعة في نفس الشاعرة تحاول من خلالها تلافي الضوء الباهت للمصباح، ومن ثَمَّ فإن الشاعرة عالجت من خلال النص أعلاه مسألة توظيف السأم

من الانتظار عبر تخيل الأشياء معتمدة على مسبب طبيعي خارج عن الواقع الحاضر في النفس لذا فإننا يمكن أن نقسم هذه الأبيات إلى الترتيب التصوير التالي:

١- البدء بإيجاد الحافز للخيال: متمثلاً بضوء المصباح الباهت.

٢- الإحالة إلى سبب منطقي: السأم من مراقبة الظلام.

٣- تعيين المظهر: متمثلة بالأنفس والركاب والحقائب.

٤- تحديد الهدف وتحفيز الأنشطة: متمثلة بالغفوة والايقاظ.

وبهذا تكون الشاعرة وافقت من حيث الكيان وفق ما جاء في نظرية لايكوف وجونسون وأفكارها بخصوص الاستعارة الأنطولوجية في هذا النص، وكذلك من تطبيقات شعر نازك الملائكة على الكيان والمادة في الاستعارة الأنطولوجية نجدها تقول:

صدىً ضائعٌ كسرابٍ بعيد يجاذبُ روحي صباح مساء
أنامُ على رجعهِ الأبديّ ويوقظني برقيقٍ الغناء
صدىً لم يشابههُ قطّ صدى تغنّيه قيثارة في الخفاء
إذا سمعته حياتي ارتمت حنيناً ونادتهُ ألف نداء
يموتُ على رجعهِ كلُّ جرحٍ بقلبي ويشرقُ كلُّ رجاء
ويمضي شعوري في نشوةٍ يخدّرهُ حلمُ يوتوبيا
ويوتوبيا حلمٌ في دمي أموتُ وأحيا على ذكره.[٢٢]

فالصدى هو صوت واهم؛ إذ أنه يكمن بكونه ارتداد الصوت بسبب الفراغ الواسع في فضاء مغلق، فنجده تحول كيان أحال عليه عدة أمور منها إشارة النوم إلى رجوعه وهي دلالة على الطمأنينة لوجود هذا الصوت وإن كان سراباً ، فهو يجر مشاعر

الحنين في نفس الشاعرة ويطيب بسببه كل جرح وتزيد الآمال فيه، إذ يكون لهذا الصدى دور الحبيب الغائب الذي تحاول الشاعرة إعادة إنتاجه باستمرار حتى تصل إلى مرحلة (الخدر)مؤطر بحلم يوتوبي ينفتح على يؤسس لحالة الاستقرار النفسي والجسدي، وبهذا يمكننا ترتيب المفهوم التصوري للنص أعلاه كما يأتي:

١- البدء بإيجاد حافز للخيال: متمثلاً بظهور الصدى.

٢- الإحالة على سبب منطقي: ويتمثل بغياب الحبيب.

٣- تعيين المظهر: ويتمثل بخلق انفعالات نفسية كالحنين وفعلية كالنداء على هذا الصوت لضمان استمرارية.

٤- تحديد الأهداف وتحفيز الأنشطة: وتتمثل باللقاء بالمحبوب ومحاولة رجاءه للعودة.

وبهذا نجد أن نازك الملائكة قد أجادت بضبط رؤى لايكوف وجونسون بخصوص الاستعارة الأنطولوجية وفي مجال الكيان والمادة عبر مزجها للشعور النفسي مع الكيان والمادة حتى يصبح هذا الشعور سبباً لبناء واقع آخر (سواء كان حقيقة أو متخيل).

٢- الاستعارات الأنطولوجية (استعارة الوعاء)

إن أساس هذا النوع من الاستعارات يكون ناتجاً من حركتنا الفيزيائية وربطها في الواقع ذلك أن تجاربنا الحياتية تنعكس على اللغة بصورة أو أخرى ففي العراق مثلاً هنالك استعارة مماثلة في مثل شعبي يوصف السارق فيها بأن (يده طويلة) وبهذا يكون الفعل وعاء والجسد وعاء، إذ تنبع هذه الاستعارة من كوننا كائنات فيزيائية محدودة ومعزولة عن باقي العالم عن طريق حدود جسدنا، ونعيش تجربة باقي العالم باعتباره

خارجة عن حدود الجسد وبذلك يكون التوجه (داخل–خارج) مرتبطاً بتصوير الجسد كوعاء ذي مساحة محدودة، وهذا التوجه نفسه يسري على الأشياء التي هي أوعية بدورها، ومن الأمثلة التي تسري عليها مسألة الوعاء الغرف في المنازل؛ فإن تنقلنا من غرفة إلى أخرى أشبه بالانتقال من وعاء لآخر.[٢٣]وتضم استعارة الوعاء بدورها الأقاليم الأرضية، مجال الرؤية ،والأحداث، والأنشطة، والأعمال والحالات.[٢٤] ومن خلال ما تقدم نجد أن الشاعرة نازك الملائكة قد طبقت استعارة الوعاء في شعرها وهذا ما نراه في قولها:

وَأَرَى النَّهْرَ مِنْ بَعِيدٍ كَسِرٍّ غَلَّفَتْهُ أَيْدِي الخَرِيفِ الكَئِيبِ
لَا رُعَاةً عَلَى شَوَاطِئِهِ يَزْ جُونَ أَغْنَامَهُمْ قُبَيْلَ الغُرُوبِ.[٢٥]

فنجد الشاعرة تصف النهر بأنه تم حجبه من قبل أيدي الخريف الكئيب، و(النهر)رمز الخصوبة و(الماء) رمز للحياة (الحركة والجيران)،لكن الحزن والكآبة أسدلا ستارهما على الحياة فغطيا حيوية الوادي وخصوبته، فهي استعارة ذكر فيها المشبه وهو (الخريف)وحذف المشبه به وهو (الإنسان)،من خلال النص أعلاه نكتشف وجود مجال الرؤية متمثلاً بالنهر الذي طوقته أيدي الخريف، وبهذا تكون الشاعرة خلقت وعاءً له حدود عملت على فصل الأقاليم ليتوفر توجه داخل وخارج ويمتلك مساحة تحده، يتمثل بما تمسكه يد الخريف وللتفصيل لا بد أن يتم التوضيح وفق الجدول الآتي:

المجال	الاستعارة (الوعاء)	الحدود الداخلية	الحدود الخارجية
الرؤية	النهر	كل ما ظهر من النهر	ايدي الخريف

وبهذا فإن تطويق النهر من قبل يد الخريف جعله وعاء، وكذلك نجد الاستعارة الوعائية في شعر نازك الملائكة في قولها:

وَكَانَتْ لَنَا مِنْ خُدُودِ النَّسِيمِ وَسَائِدُ تَسْنِدُنَا إِنْ كَلِلْنَا

وَأَنَا تَرَكْنَا حِكَايَاتِنَا وَأَخْبَارَنَا لِلرِّيَاحِ وَنِمْنَا.[٢٦]

فنرى أن الشاعرة جعلت للنسيم خدود ثم شبهتها بالوسائد في النعومة فكأن النسيم من نعومتها صار يشبه الخد كالوسادة التي تستند عليها الشاعرة عند التعب أو الملل، فهنا نجد أن الشاعرة قد وضعت وعاءً للنسيم يتمثل بالخد وتجسيده بهيئة بشرية عبر جعل الخد له فأعطته حداً داخلياً يستند إليه هذا النسيم ثم أتبعه ليكون له مظهر خارجي عبر إيجاد حد له يتمثل بجعله وسادة يستند عليها عند الكلل والجدول أدناه يوضح المقصد:

المجال	الاستعارة (الوعاء)	الحدود الداخلية	الحدود الخارجية
الأحداث والأنشطة والحالات	النسيم	وسادة (الوسائد)	الخد(خدود)

وبهذا تكون الشاعرة نازك الملائكة قد وافقت لايكوف وجونسون في تطبيق استعارة الوعاء في شعرها.

٣- التشخيص:

إن التشخيص بصفة عامة يعني وهب الحياة للأشياء والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية.[٢٧]إذ كثيراً ما يعتمد الشعراء بث الحياة الفعلية في أشياء لا تملك الحياة.[٢٨]فتعطى لهذه الأشياء روحاً إنسانية بإضفاء انفعالات الكائنات الحية البشرية وسماتها على الأشياء.[٢٩]إذ يتم التعبير عن هذه الأشياء بصورة محسوسة ثم يتم منحها

حياة شاخصة حية مجسمة مرئية.[٣٠]والاستعارة التشخيصية ما هي إلا نمط من الاستعارات الأنطولوجية يمنح للظواهر معنى عن طريق ما هو محسوس، ما يعني أنها تعمل على تشخيص الأشياء الفيزيائية.[٣١]وبالتالي يجب الاعتماد على المحفزات والأهداف والأنشطة والخصائص حتى يتم فهم الاستعارات التشخيصية.[٣٢]التي تتميز بالسماح لنا بفهم عدد كبير ومتنوع من هذه التجارب المتعلقة بكيانات غير بشرية عن طريق الحوافز والخصائص والأنشطة البشرية ،وعلى العموم فإن التشخيص حسب رؤية لايكوف وجونسون ما هو إلا مقولة عامة تغطي عدداً كبيراً ومتنوعاً من الاستعارات إذ تنتقي كل منها مظاهر مختلفة لشخص ما أو طرقاً مختلفة للنظر إليه.[٣٣]لقد ورد أسلوب التشخيص والاستعانة بالاستعارات التشخيصية كثيراً في شعر نازك الملائكة واخترنا منها على سبيل المثال لا الحصر مجموعة من شعرها التي بثت من خلالها أسلوب التشخيص عبر تحريكها الساكن من بعد وبث الروح فيه، فوجدها تقول مثلاً وهي تصف بعض من المشاعر السوداوية، إذ تقول:

عُدْ فَالْكَآبَةُ أَغْرَقَتْ بِظُلَامِهَا

رُوحِي، فَلَيْلِي أَدْمُعٌ وَشُجُونُ

عُدْ، لَا تَدَعْ نَفْسِي يُعَذِّبُهَا الْأَسَى.[٣٤]

إذ نجد في هذا النص أن الشاعرة تجسد الكآبة وتجعلها إنساناً يغرق روحها في الأحزان والاكتئاب فأصبحت دائمة الحزن والكآبة، في حين أنها جعلت من الأسى بشراً ينزع إلى تعذيبها كلما طال حبيبها وبالتالي فإن الأسى ممعن في عذاب نفس الشاعرة؛ فأسلوب التشخيص ها هنا جعل الشاعرة تخلق جسداً وهيئة بشرية للمشاعر السوداوية، وتقول نازك الملائكة أيضاً:

كَيْفَ أَنْجُو مِنَ الأسَى إِنْ يَكُنْ حَوْ لِي وُجُودٌ مُقَيَّدٌ مَوْبُوءٌ
وَأَكُفُّ الْحَيَاةِ تَحْرُجُنِي وَاللُّغْزُ يَبْقَى لُغْزًا عَمِيقًا خَفِيًّا
تَتَحَدَّى الْأَحْيَاءَ قَهْقَهَةَ الْمَوْتِ وَتَبْقَى الْحَيَاةُ لَيْلًا دُجِيًّا.[٣٥]

فنجد الشاعرة قد شخصت الحياة وجعلت لها (أكفاً)تجرحها، ويتبين من خلال النصين أعلاه أن الشاعرة نجحت في تشخيص المشاعر السوداوية وتحديد المسؤولية التي أثرت عليها بالحياة تلك التي ما اعتدت إلا لتعنيفها واذيتها، ثم يتطور أمر الأسى نازك الملائكة حد الاعتراف بالموت بوصفه السبيل الوحيد للخلاص من الألم ونجدها تقول:

وَلِمَاذَا نَبْقَى هُنَا؟ أَسْمَعُ المَوْتَ. يُنَادِي بِنا فَلَمْ لَا نُجِيبُ؟
لِنَمُتْ فَالْرِّياحُ تَجْرَحُ وَجْهَيْ نَا وَلَوْنُ الدُّجَى عَمِيقٌ رَهِيبٌ.[٣٦]

إذ جعلت الشاعرة للموت صوتاً ينادي بالبشر أن تعالوا، في إشارة واضحة منها إلى تعبها من الحياة ورغبتها بإجابة صوت الموت بالمجيء والراحة، وكلما يستبد الحزن في الشاعرة زادت قدرتها على تشخيصه بصورة مخفية فتجدها تقول:

وَغَداً تَرسُمُ الظَّلامَ عَلَى قَبْرِي خُطُوطاً مِنَ الجَمَالِ الكَئِيب
وَغَداً مَن دَمِي غِذَاؤُكَ يَا صَفْصَافُ يَا تينٌ أيَّ ثَأْرٍ رَهِيبٍ.[٣٧]

فتجدها تشخص الظلام بأن تعطيه قدرة فنان على الرسم وخط الخطوط الجميلة على شاهدة قبرها، وتجعل للتين والصفصاف قدرة الأكل والغذاء كالبشر وتنبؤها بأن دماءها ستكون الغذاء الخاص بكلا الشجرتين بصورة استعارية سوداوية تثبت مدى إمكانية الشاعرة من مجاراة القبح ومزجه بالجمال، وكذلك نجد الشاعرة تقول:

شَهِدَ العُودُ كَيْفَ عَلَّمْتُهُ حُبَّكَ مِثْلِي فَهْوَ المُحِبُّ الشَّقِيُّ.[٣٨]

وهنا تجعل الشاعرة العود شخصاً قادراً على الإدلاء بشهادة المحبوب وتضيف له مشاعر إنسانية رائعة تتمثل بالمحبة، وكذلك نجد الشاعرة تقول:

الليلُ يسألُ مَن أنا؟

أنا سرُّهُ القلقُ العميقُ الأسودُ

أنا صمتُهُ المتمرّدُ.[٣٩]

إذ نجد الشاعرة شخصت الليل وجعلته كائناً ذا صفة بشرية يسألها عنها ويستعلم عن ماهيتها فتجيب بأنها سرة القلق والعميق الأسود فيه إشارة واضحة منها إلى غلبتها على الليل بمقدار الحزن حتى صارت أسود منه حزناً وكآبة.

مما تقدم نجد أن الشاعرة نازك الملائكة قد أجادت في استعمال الاستعارة التشخيصية من خلال تجسيدها لكثير من الأشياء الفيزيائية وتصويرها بهيئة بشرية وإعطاءها الأحاسيس والتجارب بما يتوافق مع ما رسمه لايكوف وجونسون لهذا النوع من الاستعارة وبالتالي فإن قدرة نازك الملائكة في الاستعارة الأنطولوجية قدرة رهيبة تنم عن إمكانية قوية للشاعرة قادرة على مزج الشعور بالنقد مع ما يتوافق نقداً، روحاً وشاعرية.

نتيجة البحث:

ركزت نازك الملائكة في استعاراتها على إظهار ملامح الحزن في شعرها، ومشاعرها الصادقة بالحزن والوجع والاكتئاب مما جعل غالبية الاستعارات التي اتخذتها متسمة بطابع السوداوية، وإن نازك الملائكة قد أجادت بضبط رؤى لايكوف وجونسون بخصوص الاستعارة الأنطولوجية وفي مجال الكيان والمادة عبر مزجها للشعور النفسي

مع الكيان والمادة حتى يصبح هذا الشعور سبباً لبناء واقع آخر (سواء كان حقيقة أو متخيل).

لقد ورد أسلوب التشخيص والاستعانة التشخيصية كثيراً في شعر نازك الملائكة واخترنا منها على سبيل المثال لا الحصر مجموعة من شعرها التي بثت من خلالها أسلوب التشخيص عبر تحريكها الساكن من بعد وبث الروح فيه، إن الشاعرة نجحت في تشخيص المشاعر السوداوية وتحديد المسؤولية التي أثرت عليها بالحياة تلك التي ما اعتدت إلا لتعنيفها وأذيتها.

إن الشاعرة نازك الملائكة قد أجادت في استعمال الاستعارة التشخيصية من خلال تجسيدها لكثير من الأشياء الفيزيائية وتصويرها بهيئة بشرية وإعطاءها الأحاسيس والتجارب بما يتوافق مع ما رسمه لايكوف وجونسون لهذا النوع من الاستعارة وبالتالي فإن قدرة نازك الملائكة في الاستعارة الأنطولوجية قدرة رهيبة تنم عن إمكانية قوية للشاعرة على مزج الشعور بالنقد مع ما يتوافق نقداً روحاً وشاعرية.

الهوامش:

١- رضائي،٢٠٢٣، ١١٤.

٢-رابح،٢٠٢٠، ١١٧.

٣-عتيق،لاتا.١٩٧.

٤- الغانمي،١٩٩١، ١٠٠.

٥- الفندي،٢٠١٥، ١١٠.

٦-لا لايكوف وجونسون،٢٠٠٩، ٥.

٧-المصدر نفسه ،٧.

٨-لا لايكوف وجونسون،٢٠٠٩، ٤٥.

٩-المصدر نفسه،٨١.

١٠-لايكوف وجونسون،٢٠٠٩، ٢٣.

١١-خاطر،١٩٩٠، ١١.

١٢-السبيعي،٢٠١٢، ٢٧.

١٣-مؤسسة المدى،٢٠٠٧، ١٠.

١٤-خاطر،١٩٩٠، ١٥.

١٥-مؤسسة المدى،٢٠٠٧، ١٠-١١.

١٦-العامري،٢٠١٨، ٢٥١- ٢٥٢.

١٧-لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩، ٤٥.

١٨-المصدر نفسه،٤٨.

١٩-المصدر نفسه،٢٣.

٢٠-المصدر نفسه،٤٦.

٢١-الملائكة،١٩٧٩، ٦١.

٢٢-المصدر نفسه ،٣٨.

٢٣-ينظر:عماري،٢٠١٧، ١٥٢.

٢٤-ينظر: وانش ولوقاني، ٢٠١٥، ٣٣.

٢٥-المصدر نفسه ،١٦٣.

٢٦- الملائكة ،١٩٦٨، ٣٩.

٢٧-السبيعي،٢٠١٢، ٩.

٢٨-اليوت وآخرون،لاتا،١١٥.

٢٩-فتحي،١٩٨٦، ٣٧.

٣٠-سيد قطب،١٩٨٨، ٧١.

٣١-وانش ولوقاني،٢٠١٥، ٣٣.

٣٢-عماري،٢٠١٧، ١٥٢.

٣٣-لايكوف وجونسون،٢٠٠٩، ٥٣-٥٤.

٣٤- نازك الملائكة،٣١٢.

٣٥-المصدر نفسه،١٦٥.

٣٦-المصدر نفسه،٤٧٧.

٣٧-المصدر نفسه ،٦٦.

٣٨-المصدر نفسه ،٣٢٥.

٣٩-المصدر نفسه ،٤٨١.

المصادر والمراجع:

- ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار التعاضدية العمالية،ا لطبعة الأولى،صفقاس – تونس،١٩٨٦م.
- ت.س.اليوت وآخرون،اللغة الفنية، ترجمة: حسن عبدالله، دار المعارف،الطبعة الأولى،القاهرة – مصر.
- تسعديت وانش وحورة لوقاني، دور الاستعارة في التعليم والتعلم الاستعارة التصورية انموذجاً(مذكرة ماستر) جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات،٢٠١٥م.
- جورج لايكوف ومارك جونسون،الاستعارات التي بها نحيا،ترجمة عبد المجيد جحفه،دار توبقال للنشر،الطبعة الثانية،٢٠٠٩م.
- حصة سمحي محمد السبيعي،اسلوب التشخيص في شعر نازك الملائكة (رسالة ماجستير)،جامعة أم القرى،كلية اللغة العربية،٢٠١٢م.
- سعيد الغانمي،أقنعة النص(قراءات نقدية في الأدب)،دار الشؤون الثقافية العامة وآفاق عربية، الطبعة الأولى، بغداد–العراق،١٩٩١م.
- سيد قطب ، التصوير الفني للقرآن،دار الشروق ،الطبعة الأولى،القاهرة – مصر،١٩٨٨م.
- عبد السلام عطوة الفندي،الصورة التشبيهية في السنة النبوية،مجلة البلقاء للبحوث والدراسات،العدد الأول،٢٠١٥م.
- عبد العزيز عتيق، علم البيان،دار النهضة العربية،بلات.
- عزالدين عماري،قراءة في كتاب الاستعارات التي نحيا بها لجورج لايكوف ومارك جونسون،مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب،العدد الأول،٢٠١٧م.
- عكورة ياسمين وبوشعر حسينة، التعبير المجازي في شعر نازك الملائكة(مذكرة ماستر)،جامعة عبدالرحمن ميرة، كلية الآداب واللغات،٢٠١٩م.
- علي رضائي وآخرون،دراسة للاستعارات المضمونية الاتجاهية في مؤلفات محمود دولت آبادي ويوسف إدريس(استناداً إلى نظرية الاستعارات المضمونية لجورج لايكوف ومارك جونسون)،مجلة إضاءات نقدية،العددالخامس والاربعون،٢٠٢٢م.

- كامل عويد العامري،معجم النقد الأدبي الحديث،دار نينوى،الطبعة الأولى بيروت – لبنان،٢٠١٨م.
- محمد عبد المنعم خاطر،دراسة في شعر نازك الملائكة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة الأولى،١٩٩٠م.
- مؤسسة المدى،نازك الملائكة حياة وشعر وأفكار، مؤسسة المدى،الطبعة الأولى،العراق،٢٠٠٧م.
- نازك الملائكة، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلس الأعلى للثقافة،الطبعة الأولى،٢٠٠٢م.
- نازك الملائكة، ديوان نازك الملائكة،دار العودة،الطبعة الثانية،بيروت– لبنان،١٩٧٩م.

Sources and References

- Ibrahim Fathi, *Mu'jam al-Mustalahat al-Adabiyya*, Dar al-Ta'adudiyya al-'Ummaliyya, 1st ed., Sfax, Tunisia, 1986.
- T. S. Eliot et al., *al-Lugha al-Fanniyya*, trans. Hasan 'Abdallah, Dar al-Ma'arif, 1st ed., Cairo, Egypt.
- Tas'adit Wansh and Hawra Luqani, *Dawr al-Isti'ara fi al-Ta'lim wa al-Ta'allum: al-Isti'ara al-Tasawwuriya Unmudhajan* (Master's thesis), University of Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou, Faculty of Letters and Languages, 2015.
- George Lakoff and Mark Johnson, *al-Isti'arat allati Nahya Biha*, trans. 'Abd al-Majid Jahfa, Dar Toubkal for Publishing, 2nd ed., 2009.
- Hissa Samhi Muhammad al-Subai'i, *Uslub al-Tashkhis fi Shi'r Nazik al-Malaika* (MA thesis), Umm al-Qura University, College of Arabic Language, 2012.
- Sa'id al-Ghanami, *Aqni'at al-Nass: Qira'at Naqdiyya fi al-Adab*, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Amma and Afaq 'Arabiyya, 1st ed., Baghdad, Iraq, 1991.

- Sayyid Qutb, *al-Taswir al-Fanni li-l-Qur'an*, Dar al-Shuruq, 1st ed., Cairo, Egypt, 1988.

- ‘Abd al-Salam ‘Atwa al-Fandi, *al-Sura al-Tashbihiyya fi al-Sunna al-Nabawiyya*, *Majallat al-Balqa' li-l-Buhuth wa al-Dirasat*, no. 1, 2015.

- ‘Abd al-‘Aziz ‘Atiq, *‘Ilm al-Bayan*, Dar al-Nahda al-‘Arabiyya, n.d.

- ‘Izz al-Din ‘Ammari, “Qira'a fi Kitab *al-Isti‘arat allati Nahya Biha* li-George Lakoff wa Mark Johnson,” *Majallat al-‘Umda fi al-Lisaniyyat wa Tahlil al-Khitab*, no. 1, 2017.

- ‘Akura Yasmin and Bousha‘r Hasina, *al-Ta‘bir al-Majazi fi Shi‘r Nazik al-Malaika* (Master's thesis), University of Abdelrahmane Mira, Faculty of Letters and Languages, 2019.

- ‘Ali Reza'i et al., “Dirasa li-l-Isti‘arat al-Madmuniyya al-Ittijahiyya fi Mu'allafat Mahmoud Dowlatabadi wa Yusuf Idris (Istinadan ila Nazariyyat al-Isti‘arat al-Madmuniyya li-George Lakoff wa Mark Johnson),” *Majallat Iḍa'at Naqdiyya*, no. 45, 2022.

- Kamil ‘Uwayd al-‘Amiri, *Mu‘jam al-Naqd al-Adabi al-Hadith*, Dar Nineveh, 1st ed., Beirut, Lebanon, 2018.

- Muhammad ‘Abd al-Mun‘im Khatir, *Dirasa fi Shi‘r Nazik al-Malaika*, General Egyptian Book Organization, 1st ed., 1990.

- Al-Mada Foundation, *Nazik al-Malaika: Hayat wa Shi‘r wa Afkar*, Al-Mada Foundation, 1st ed., Iraq, 2007.

- Nazik al-Malaika, *al-A‘mal al-Shi‘riyya al-Kamila*, Supreme Council of Culture, 1st ed., 2002.

- Nazik al-Malaika, *Diwan Nazik al-Malaika*, Dar al-‘Awda, 2nd ed., Beirut, Lebanon, 1979.